التوظيف الحداثي للسنة النبوية المطهرة وتأثيراته العقدية «دراسة تحليلية نقدية»

Modern Employment of the Pure Prophetic Sunnah and Its Doctrinal Influences "

"A Critical Analytical Study"

اعداد

د . عبد العليم محمود عبد النعيم يوسف

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

جامعة الازهر الشريف / جمهورية مصر العربية

Prepared by

Dr. Abdel-Aleem Mahmoud Abdel-Naeem Youssef

Lecturer of Doctrine and Philosophy at the Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys in Qena

Al-Azhar University / Arab Republic of Egypt

01124296585

AbdelAleemYoussif.4119@azhar.edu.eg

الملخص

يعد الفكر الحداثي من أهم التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، إذ أنه يحمل في طياته مجموعة من التوجهات التي تشكل خطراً علي كافة جوانب الحياة الإسلامية فقد راهن الحداثيون علي بناء مشروعهم الفكري علي أسس تعادي مبادئ الشريعة الإسلامية وتحارب المُثل التي جاءت بها هذه الشريعة ، بعد أن وصفت تلك المُثل بالرجعية والتخلف ، وكان للسنة النبوية نصيب وافر من هذه الدراسات الحداثية ، فقد عمد الحداثيون الي قراءة نصوص السنة النبوية بطريقة تأويلية تستمد آلياتها من خارج نطاق القراءات الإسلامية ، بل وتأتي وفقا للتجربة الغربية ، وقد وظّف الحداثيون هذه القراءات لتحقيق نوع من القطيعة المعرفية بين هذه النصوص وما يمكن ان يطلق عليه « القراءات التراثية» حتي يتسني لهم فتح الباب علي مصراعيه أمام فهم هذه النصوص فهماً مزاجياً متقلباً مع كل عصر وظرف دون رابط او ضابط ، ومما لا شك فيه أن مثل هذا التوظيف الحداثي للسنة النبوية ينعكس بدوره سلباً علي العقيدة الإسلامية، إذ أن ممارسة العقل الحداثي لسلطانة المطلق علي الساحة الفكرية والدينية يجعل المسلّمات رهن الجدال والنقد ، ويجعل الكثير من النصوص المجمع علي ثبوتها ودلالتها موضع الشك والزيف ، مما يترتب عليه انكار الاصول والثوابت العقدية التي يرتكز عليها الدين .

الكلمات المفتاحية : (التوظيف ـ الحداثى ـ السنة النبوية ـ العقيدة).

Abstract:

Modernist thought is one of the most important challenges facing the Islamic nation, as it carries within it a set of trends that pose a threat to all aspects of Islamic life. Modernists have bet on building their intellectual project on foundations that are hostile to the principles of Islamic law and fight the ideals that this law brought, after describing those ideals as reactionary and backward. The Prophetic Sunnah had a large share of these modernist studies. Modernists have read the texts of the Prophetic Sunnah in an interpretive manner that derives its mechanisms from outside the scope of Islamic readings, and even comes in accordance with the Western experience. Modernists have employed these readings to achieve a kind of cognitive break between these texts and what can be called "heritage readings" so that they can open the door wide open to understanding these texts with a moody understanding that fluctuates with each era and circumstance without a link or control. There is no doubt that such modernist employment of the Prophetic Sunnah in turn reflects negatively on the Islamic faith, as the modernist mind's practice of absolute authority in the intellectual and religious arena makes the axioms subject to debate and criticism.

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعملنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" [1]

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا» [2]

"يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً [3] **" أما بعد.**

يعد الفكر الحداثي من أهم التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، إذ أنه يحمل في طياته مجموعة من التوجهات التي تشكل خطراً علي كافة جوانب الحياة الإسلامية فقد راهن الحداثيون علي بناء مشروعهم الفكري علي أسس تعادي مبادئ الشريعة الإسلامية وتحارب المُثل التي جاءت بها هذه الشريعة ، بعد أن وصفت تلك المُثل بالرجعية والتخلف ، وكان للسنة النبوية نصيب وافر من هذه الدراسات الحداثية ، فقد عمد الحداثيون الي قراءة نصوص السنة النبوية بطريقة تأويلية تستمد آلياتها من خارج نطاق القراءات الإسلامية ، بل وتأتي وفقا للتجربة الغربية ، وقد وظّف الحداثيون هذه القراءات لتحقيق نوع من القطيعة المعرفية بين هذه النصوص وما يمكن ان يطلق عليه « القراءات التراثية» حتي يتسني لهم فتح الباب علي مصراعيه أمام فهم هذه النصوص فهماً مزاجياً متقلباً مع كل عصر وظرف دون رابط او ضابط ، ومما لا شك فيه أن مثل هذا التوظيف الحداثي للسنة النبوية ينعكس بدوره سلباً

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٢

(٢) سورة النساء ايه ١

(٣) الآيتان من سورة الأحزاب ٧٠ : ٧١ ، وهذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله « صلي الله عليه وسلم « يصدّر بها معظم خطبه، ويفتتح بها معظم أحاديثه ، أخرجها بهذا اللفظ النسائي في سننه الصغرى ، كتاب النكاح ، باب ما يستحب من الكلام عند النكاح جـ ٦ صـ ٨٩ وللحديث شاهد عند مسلم في كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة / صحيح مسلم جـ ٣ صـ ٣٨٠.

علي العقيدة الإسلامية، إذ أن ممارسة العقل الحداثي لسلطانة المطلق علي الساحة الفكرية والدينية يجعل المسلّمات رهن الجدال والنقد ، ويجعل الكثير من النصوص المجمع علي ثبوتها ودلالتها موضع الشك والزيف ، مما يترتب عليه انكار الاصول والثوابت العقدية التي يرتكز عليها الدين .

ومن هنا تأتي أهمية هذه الورقة البحثية للتركيز علي تأويلات الفكر الحداثي للسنة النبوية المطهرة ونقدها وبيان مدي بعدها عن جادة الصواب ، كما تهدف هذه الدراسة الي بيان موقف الحداثيين من السنة النبوية منهجا وتطبيقاً ، وكذلك الاسس المعرفية لتجاوزات الفكر الحداثي علي السنة النبوية المطهرة ومدي تأثيره علي العقيدة الاسلامية .

والله اسأل ان يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه وان ينفع به الاسلام والمسلمين.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من خلال النقاط التالية :

١ ـ تعمل هذه الدراسة علي إلقاء الضوء علي مفهوم الحداثة ونشأتها ، وأهم الأسس التي ترتكز عليها ، وطريقة انتقالها الي بعض المستغربين العرب .

٢ ـ القاء الضوء علي الفكر الحداثي الذي يحاول المروجون له إنكار السنة النبوية المطهرة ، واقصائها عن دائرة الضوء ، وخاصة بعد انتشار افكار دعاة الحداثة عبر وسائل الاعلام المختلفة بدعوي تجديد الخطاب الديني .

٣ ـ القاء الضوء علي إصرار داعاة الحداثة علي قطع الصلة بتراث الأمة نهائياً واندماجهم في المنهجيات الغربية اندماجاً كاملاً.

٤ ـ القاء الضوء علي أهم التأثيرات العقدية التي خلفها المشروع الحداثي ، وخاصة أن كثيراً ممن كتب في تيار الحداثة قد تناولها من الناحية الأدبية علي اعتبار ان الحداثة قد هاجمت التراث الأدبي ودعت الي الثورة عليه والتحرر منه ، وعليه فإن اكثر الذين تناولوها هم علماء الأدب الذين أغفلوا الجانب العقدي ولم يتناولنه بصورة كاملة.

إشكالية الدراسة :

هناك عدة إشكاليات يحاول هذا البحث إلقاء الضوء عليها في محاولة جادة لفهم هذه الإشكاليات ومحاولة الوصول لحلها ومن هذه الإشكاليات ما يأتي :

١ ـ ما هو مفهوم الحداثة ؟ وكيف نشأت ؟ وما هي أهم الأسس التي ترتكز عليها؟

٢ ـ ما هي أهم المنطلقات الفكرية للحداثيين في قراءتهم للسنة النبوية المطهرة؟ .

٣ ـ ما هي أهم الآثار العقدية التي خلفها المشروع الحداثي من خلال توظيفهم للسنة النبوية المطهرة ؟

منهج الدراسة

اعتمدت في هذا البحث علي المنهج التكاملي ـ الذي يجمع بين اكثر من منهج ـ فاعتمدت علي المنهج الاستقرائي في محاولة لتتبع مفهوم الحداثة في البيئة التي نشأت فيها ، وكيف انتقلت الي المثقفين العرب ، كما استخدمت المنهج التاريخي لرصد أهم التحولات الفكرية التي رافقت مسار تشكل الحداثة ، كما استخدمت المنهج التحليلي لبحث آراء الحداثيين ، وكيفية تناولهم للسنة النبوية المطهرة ومدي تأثير ذلك علي العقيدة ، هذا بالإضافة الي المنهج النقدي للكشف عن الأخطاء التي صاحبت المشروع الحداثي في تناوله للسنة النبوية المطهرة ، والمخاطر العقدية التي ترتبت علي ذلك .

خطة الدراسة :

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يأتي في مقدمة ومبحثين وخاتمة .

أما المقدمة فتشتمل علي أهمية الموضوع واشكالية الدراسة والمنهج المستخدم في الدراسة وخطة هذه الدراسة .

المبحث الأول :مفهوم الحداثة ومراحل تطورها وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : مفهوم الحداثة في اللغة والاصطلاح .

المطلب الثاني : نشأة الحداثة وتطورها .

المطلب الثالث : أهم الأسس التي تقوم عليها الحداثة .

المبحث الثانى: مرتكزات الفكر الحداثي في التعامل مع السنة النبوية المطهرة وفيه مطلبين:

المطلب الأول: المنطلقات الفكرية للحداثيين في التعامل مع السنة النبوية .

المطلب الثاني : الآثار العقدية المترتبة علي التوظيف الحداثي للسنة النبوية المطهرة

الخاتمة : وبها أهم النتائج التي توصل اليها البحث.

المبحث الأول
مفهوم الحداثة ومراحل تطورها

المطلب الأول : مفهوم الحداثة في اللغة والاصطلاح .

أولاً: مفهوم الحداثة في اللغة :

كلمة حداثة في اللغة العربية مشتقة من الجذر اللغوي (ح ، د، ث) وبالرجوع الي معاني هذا الجذر في معاجم اللغة نجد أن الحديث نقيض القديم ، والحدوث نقيض القدمة ، يقال: «حَدَثَ» الشيئ يحدُث حُدُثاً وحداثة ، وأحدثه فهو مُحدْث وحديث ، وكذلك استحدثه ، والحدوث كون شيئٍ لم يكن ، والحديث الجديد من الاشياء ، وحِدْثان الأمر- بالكسر- أوله وابتدائه.»[1] "

والذي يلاحظ أن لفظة الحداثة في اللغة العربية تنطوي علي معني الجِدة والتحديث الذي هو في مقابل القديم والعتيق .

ثانياً : مفهوم الحداثة في الاصطلاح :

من الصعب أن نجد مفهوماً دقيقاً يحدد معني الحداثة في الاصطلاح وذلك كما يقول «جون بوردیار» :» لان الحداثة ليست مفهوماً سوسيولوجيا أو تاريخياً يحصر المعني دائماً ، وإنما هي صبغة مميزة للحضارة تعارض صبغة التقليد ،أي أنها تعارض جميع الثقافات التقليدية»[2] " ولكن رغم هذا إلا أن هناك تعريفات متعددة تحاول إعطاء مقاربات لمفهوم الحداثة.

ومن أهم هذه التعريفات ما يأتي :

عرف لا لاند الحداثة بقوله :» هي الفعل الفلسفي المتوافق مع التشكلات الفكرية الحقيقية المتصاعدة والضرورية. «[3]"

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج٢ ص ١٣١ ، كتاب العين مرتبا علي حروف المعجم ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، ج١ ص ٢٩٣ ، القاموس المحيط للفيروز أبادي حرف الحاء ص ٣٣٦ .

(٢) الحداثة في فكر محمد أركون ، فالح مسرحي ص ٢١ .

(٣) موسوعة لا لاند الفلسفية ، أندرية لا لاند، ج٢ ص ٨٢٢.

ويعرف الدكتور عبد الإله بلقزيز الحداثة بقوله :» الحداثة في تعريفها النظري الدقيق هي الرؤية الفلسفية والثقافية الجديدة للعالم ، التي تعيد بناء وصوْغ الإدراك الإنساني للكون والطبيعة والاجتماع البشري ، علي نحو نوعي مختلف انتج منظومة معرفية وثقافية واجتماعية جديدة هي نفسها التي تكنّت باسم الحداثة.»[1]"

ويري جابر عصفور ان الحداثة « تمرد دائم علي كل ما يحبس أدوات انتاج المجتمع وعلاقاته في قيود الاتباع والتقليد ، والتحديث كالحداثة هو تطلع دائم الي المستقبل الذي يعد بالتقدم اللانهائي .»[2]"

ومن التعريفات الشاملة التي تعطي مدلولاً واضحاً للحداثة ما جاء في الموسوعة المسيرة من أن « الحداثة مذهب فكري أدبي علماني ، بني علي أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية وغيرها ، وأفاد من المذاهب الفلسفية السابقة عليه كالسريالية والرمزية وغيرها.»[3]"

وهكذا ومن خلال ما سبق يمكن القول بان الحداثة حركة فكرية تعمل علي احداث قطيعة فكرية بين الانسان وماضيه ، في محاولة لصياغة نموذج للفكر يتجاوز الموروث ويتحرر من قيود ثوابته ، معتمدة في ذلك علي مناهج فكرية علمانية ، مبنية علي عقائد غربية ، ومذاهب فلسفية تهدف الي الغاء الدين وما صدر عنه من عقائد وشرائع بحجة أنها قديمة ولا تواكب العصر الحديث ومتطلباته .

المطلب الثاني : نشأت الحداثة :

يكاد يكون هناك اجماع من الباحثين علي أن مصطلح الحداثة هو مصطلح غربي خالص فقد حبلت به الثقافة الغربية ووضعته ونمته ليكتسب فيها دلالته لمدة تزيد علي ثلاثة قرون قبل ان ينتقل الي التداول داخل الأوساط الثقافية الغربية في القرن العشرين.

"وترجع بواكير ظهور الحداثة في الأوساط الثقافية الغربية الي أواخر القرن التاسع عشر ، وكان الظهور الأول لهذا المصطلح في الأوساط الأدبية علي يد أنصار المدرسة الرومانسية كثورة علي المدرسة الكلاسيكية ، والتي نعتوها بالجمود والنمطية ، ونشأت الحداثة علي

(١) العرب والحداثة ـ دراسة في مقالات الحداثيين ـ ، د عبدالإله بلقزيز ص ٥٨ .

(٢) هوامش علي دفتر التنوير ، جابر عصفور ص٦١ وما بعدها بتصرف .

(٣) الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ، د مانع بن حماد الجهني ج٢ ص٨٦٧.

يد شعراء فرنسا أمثال شارل بود لير ، ورامبو ، ولامارليه ، ثم ظهرت مدارس ادبية أخري كالمدرسة الواقعية والتي تطورت فيما بعد الي المدرسة الرمزية والتي تعتبر هي الخطوة الأخيرة للحداثة والتي وصلت لشكلها النهائي في الغرب علي يد الأمريكي عزرا باوند والانجليزي توماس إليوت.»[١]"

وهناك من يعود بمصطلح الحداثة الي القرن الخامس عشر أي ربما الي حركة مارتن لوثر الذي قاد الشقاق البروتستانتي ضد الكنيسة وسلطاتها الروحية ، وهناك من يربط بين الحداثة وديكارت صاحب مذهب الشك في القرن السابع عشر ، وهناك من يربط المصطلح بعصر التنوير في القرن الثامن عشر ، واخيرا هناك من يربط المصطلح بمطلع القرن العشرين وخاصة بعد التوسعات الاستعمارية وظهور الاذاعة والكهرباء ووسائل النقل السريع. «[٢]"

ومهما يكن من اختلاف حول التاريخ الحقيقي لظهور الحداثة إلا أن الثابت يقيناً أن مصطلح الحداثة هو مصطلح يعبر عن الهوية الغربية وانه مزيج من المناهج الفكرية المختلفة .

وأما عن انتقال الحداثة الي الأوساط الثقافية العربية فهناك حقيقتان يجب التركيز عليهما:

أولاً : أن هذا المصطلح قد دخل الي مجال التداول في الفكر العربي منذ النصف الثاني من القرن العشرين ، يقول الدكتور شكري محمد عياد :" إن تأثيرات الحرب العالمية الثانية ، وما نتج عنها من تطورات عالمية أدي الي ظهور جماعات من اليهود والأجانب في مصر تحاول جمع شتاتها ليكون لها مكان داخل هذه التطورات فأنشئوا مجلة شهرية باسم "التطور" ، ثم تأسست جماعة الفن والحرية التي رفعت شعار تحرير الفن من الدين والوطن والجنس."[٣]"

وقد تبلور مفهوم الحداثة داخل الأوساط الثقافية العربية وتم الإعلان عنه في لبنان في منتصف القرن العشرين عن طريق مجلة « شعر» اللبنانية التي اسسها «يوسف الخال» بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٥٦م، « فبعد عودة يوسف الخال قام باتصالات عديدة مع العناصر الأدبية القادرة علي خلق حركة شعرية حديثة ، وتم التجمع وأعلن عن

(١) المنطلقات الفكرية والعقدية لدي الحداثيين للطعن في مصادر الدين ،أنس سليمان المصري ص٨١.
(٢) إشكالية القراءات الحداثية للنص الديني ، د إبراهيم طلبة حسين ص ٤٨٩.
(٣) المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين ،د شكري محمد عياد ص١٩.

مجلة فصلية عرفت باسم مجلة «شعر « وأصبح يوسف الخال رئيساً لتحريرها .»[1]"

ثم امتدت حركة الحداثة بعد ذلك حتي الوقت الحاضر بعد أن مرت بعدة اسماء كان لها دوراً فاعلاً في الدعوة الي التغريب وقطع الصلة مع الماضي والأرض والدين، منهم علي سبيل المثال فرح انطون ، حسن حفني ، محمد عابد الجابري ، محمد أركون ، وغيرهم علي اختلاف الرؤي والمنهجيات .

ثانياً :الحقيقة الثانية التي يجب التركيز عليها عند التأريخ للحداثة في الأوساط العربية هي أن مصطلح الحداثة قد دخل مجال التداول في الفكر العربي بتأثير من الحداثة الغربية .

وقد توالت الاعترافات من منظري الحداثة بذلك فهذا محمد برادة يكتب مقالاً بعنوان « اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة « يؤكد فيه بأن الحداثة مفهوم مرتبط أساساً بالحضارة الغربية ، وسياقاتها التاريخية ، ويصل في النهاية الي ان الحديث عن حداثة عربية مشروط تاريخياً بوجود سابق للحضارة الغربية ، وبامتداد قنوات التواصل بين الثقافتين .»[2]"

المطلب الثالث : الأسس العامة للحداثة :

هناك عدة اسس ومرتكزات تقوم عليها الحداثة ومن هذه الأسس ما يأتي :

١ ـ الذاتية :

تعتبر الذاتية أو الفردانية أو النزعة الإنسانية وهي كلها تعابير تشير الي معني واحد عند دعاة الحداثة من أهم الركائز الأساسية التي تقوم عليها الحداثة ، فماذا تعني عند الحداثيين؟

تعني الذاتية أو النزعة الإنسانية عند الحداثيين مركزية ومرجعية الذات الانسانية واعتبارها المحور الاساسي للتفكير ومرجعيته وقيمته العليا .

يعرف هايدجر ـ وهو اكبر فلاسفة الحداثة ـ الذاتية بقوله :» الذاتية هي ذلك التأويل الفلسفي للإنسان الذي يفسر ويقيم كلية الموجود انطلاقاً من الانسان وفي اتجاه الانسان.»[3]" ويقول في نص آخر « إنها تلك الفلسفة التي تضع الانسان في مركز الكون عن قصد ووعي ، وتعتقد من خلال تأويلات ميتافيزيقية معينة للوجود في إمكانية تحرير قدراته ، وتأمين حياته والاطمئنان الي مسيره وتطوير وتنمية قدراته الإبداعية ، وباختصار ففي النزعة الإنسانية يتم

(١) الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية ،محمد بن عبد العزيز بن احمد العلي ص ٤٨٤.

(٢) اعتبارات نظرية لتحديد مفهوم الحداثة ، محمد برادة ، مجلة فصول ، م٤ ، ع ٣ ،ص ١١.

(٣) موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، د عبد الرازق الدواي ص٤٣ .

دائما الدوران في فلك الإنسان ، وفي مدارات يتسع مداها باستمرار.»[1]"

وهكذا ومن خلال التعريف السابق يتضح أن الذات الإنسانية عند الحداثيين هي المرجع الأساسي لكل اشكال المعرفة وكذلك لكل المواقف والقرارات ، فالدين والاخلاق والتاريخ والفن يجب أن يمر عبر الانسان وحريته ووعيه ، فلا سلطة فوق الذات ، ولا سعادة إلا من خلال الذات ، ولا قيمة أخلاقية إلا من خلال تحقيق المنافع الذاتية ، وهكذا يتحول الإنسان من وجهة نظر الذاتية الي المقدس الأوحد في الوجود ، فلا شيئ يعلو رأيه وحريته وقراره ، فهو صانع القرار بل هو صانع الحقيقة ، ومن هنا ظهر مصطلح «موت الإله»[2]" ليحل الانسان محله بلا منازع .

٢ـ العقلانية :

يعتبر مبدأ العقلانية هو الركيزة الثانية من ركائز الحداثة ، ويعتبر هذا المبدأ انعكاساً لمبدأ الذاتية وانشطار عنه ، فماذا يعني مصطلح العقلانية عند الحداثيين؟

يقول محمد سبيلا :» العقلانية تعني اخضاع كل شيئ لقدرة العقل ، وهكذا يصبح كل شيئ مفحوصاً ومفهوماً بل ومحكوما عليه من قِبل العقل «[3]"

ويقول ايضاً :» الحداثة هي العقلنة ، أي ضبط وتنظيم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ضبطاً عقلانياً ، أي علي هدي العقل ، فلا شيئ يعلو علي العقل أو يشذ عن سلطته بما في ذلك مجال المعتقد والمقدس ، لا السياسي والاجتماعي فقط.»[4]

ومن الجدير بالذكر أن مبدأ العقلانية عند الحداثيين كانت له تداعيات خطيرة ألقت بظلالها علي كثير من النواحي الفكرية ، ولكن يعتبر البعد الديني لمبدأ العقلانية من أهم التداعيات الخطيرة لهذا المبدأ ، فاعتماد الحداثيين للعقل كمصدر للمعرفة ، واعتباره السيد المطلق ، جعل العقل عند الحداثيين حاكم علي النص ، بما في ذلك النصوص المقدسة ، وبهذا تحول النص الي تابع للعقل وجوداً وعدما ، ، واقصاءاً وقبولاً ، فالعقل كما يري الحداثيون « بما له من فاعلية اجتماعية تاريخية متحركة ، قد يكون قابلاً للخطأ ، ولكنه في

(١) المرجع السابق نفس الصفحة .

(٢) موت الإله هو أحد أشهر المفاهيم التي طرحها نيتشة ويعد جزءا مركزيا من فلسفته .

(٣) الحداثة وما بعد الحداثة ، د محمد سبيلا ص ٢٦ .

(٤) دفاعاً عن العقل والحداثة «حوارات» ، د محمد سبيلا ص٥٨ .

الوقت نفسه قادر علي تصويب اخطائه ،

وبما للعقل من سلطة اجتماعية وتاريخية ، فهو ضد الأحكام النهائية والقطعية ، وهكذا يكون العقل أولاً والنص ثانياً.»[1] ‘‘

وعليه فإن القول بمبدأ العقلانية عند الحداثيين هو تأليه للعقل ، وجعله المرجع الذي يحتكم اليه ، فهو انتقال من تقديس النص الالهي ، الي تقديس للعقل .

٣ ـ الحرية :

تعتبر الحرية هي الركيزة الثالثة من ركائز الحداثة ، وهي مرتبطة ارتباط وثيق

بالمبدأين السابقين « الذاتية ، العقلانية» فالحداثة تنادي بالحرية المطلقة بجميع جوانبها واتجاهاتها بدون قيد أو شرط.

يقول سارتر : « اننا لا ننفصل عن الأشياء سوي بالحرية ، فالإنسان وحده حامل الحرية في الكون ، فبلا حرية لا وجود للإنسان»[2]’’

وكما تدعو الحداثة الي حرية الأفراد ، فهي تدعو ايضاً الي تحرير العقل من سلطة كل المقدسات ، وهذا ما أكده «كانط» الفيلسوف الحداثي عندما ذكر أن شرط التنوير والحداثة هو حرية العقل من دائرة الوصايا التي فرضت عليه.

تلك هي اهم الأسس والمرتكزات التي تقوم عليها الحداثة .

(١) الحديث النبوي ومكانته في الفكر الاسلامي الحديث ، د محمد حمزه ص٤٢٣.

(٢) مفهوم الحرية ، عبد الله العروي ص٢٦٨ .

المبحث الثاني
مرتكزات الحداثيين في التعامل مع السنة

المطلب الأول : المنطلقات الفكرية لدي الحداثيين في التعامل مع السنة:

من المعلوم أن الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل قد أدركت عظمة السنة النبوية ومكانتها العظيمة في نفوس المسلمين ، فهي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله عز وجل ، وهذه حقيقة لا يعارض فيها إلا شقي معادٍ لله ورسوله والمؤمنين .

ولقد بين الله مكانة السنة النبوية في اطار الامر الإلهي بوجوب طاعة النبي عليه الصلاة والسلام في اكثر من ثلاثين موضعاً في كتابه العزيز منها علي سبيل المثال: قال تعالي « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [1]" وقال تعالي " مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ ٱللَّهَ"[2]" وقال تعالي " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» [3]" ، وقد ذهب اكثر المفسرين الي القول بان المقصود من طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة في امور الدين والدنيا ، وان طاعته عليه الصلاة والسلام باقية في أوامره ونواهيه الي قيام الساعة ."[4]"

ولما كان للسنة النبوية المطهرة كل هذه المكانة العظيمة في نفوس المؤمنين فلا غرابة في ان يصوب اليها كثير من الحداثيين سهامهم ، ويجعلون من أهم اهدافهم هدم السنة النبوية لأنها المرجعية التي تحصن الأمة بعد كتاب الله عز وجل .

ولتحقيق هذه الاستراتيجية التي يسعي الحداثيون من خلال مشروعهم للوصول اليها اعتمد الحداثيون علي منطلقين فكريين كانا بمثابة معولين لهدم السنة النبوية المطهرة

المنطلق الأول: تطبيق القراءات الحداثية علي السنة المطهرة.

المنطلق الثاني : اقصاء السنة عن دائرة العمل والتأثير .

---

(١) آل عمران ١٣٢

(٢) النساء ٨٠

(٣) المائدة ٩٢

(٤) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، ج ٤ ، ص ٦٦ .

أولاً : تطبيق القراءات الحداثية علي السنة النبوية المطهرة:

هناك عدة محاور اعتمد عليها الحداثيون من أجل تطبيق القراءات الحداثية علي السنة النبوية :

١ ـ عقلنة النص:

ذكرت سابقاً أن العقلانية هي أهم أسس الحداثة ، بل إن العقلانية تمثل مفتاح الحداثة ، وروح الإنسان المعاصر ، ولهذا كانت العقلانية من اهم القضايا التي دافع عنها الحداثيون بشراسة .

يقول الشرفي « إن من أهم لوازم الحداثة «العقلانية» ، اذ لا تتصور حداثة من دون عقلنة»[١]"

ونتيجة لذلك كان من اهم الاستراتيجيات المتبعة في القراءة الحداثية للنص النبوي هو عقلنة النص ، بمعني اخضاع النص النبوي لمحاكمة العقل ، واعتباره كنص شعري أو خطاب لغوي يستطيع العقل أن يعدّل عليه أو ينقضه ، وقد ترتب علي ذلك اعتبار العقل مقدم علي النقل عند الحداثيين ، وبالتالي فإن تفسير النص وفهمه تابع لعقل القارئ وفهمه ، وتماشياً مع هذه العقلنة التي ليس لها ضابط من شرع يصبح الباب مفتوحاً أمام التأويلات اللامتناهية للنص ، فيصبح قصد المؤلف لا مكان له في القراءة الحداثية العقلانية ، باعتبار ان تلك النصوص لا تحمل أي معني إلا ذلك الذي يدركه القارئ بعقله ، مما يؤدي الي فوضي التفسير ولا نهائية المعني ، وبذلك يستأثر الحداثيون بتأويل النص الديني قرآناً وسنة ، ويتلاعبون بفهمه وتفسيره بحسب ما يخدم مشروعهم الحداثي .»[٢]"

يقول سامر اسلامبولي في مقدمة كتابة « تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم « تحت عنوان مدخل الي البحث» والذي يجب أن نعرفه أولاً ونبدأ منه الحوار والدراسة أن العقل موجود في الواقع قبل النقل ، فقد كان العقل قبل أن يولد النقل ،والنقل نتاج لتفاعل العقل مع الواقع ، مما يوكد هيمنة العقل وسيادته علي النقل ، ولا يمكن ان يتعاكس الوضع فيصير النتاج سيداً للمنتِج ، لأن ذلك لو حصل في الواقع لصار الأمر مهزلة ، فتخيل

---

(١) الإسلام والحداثة ، عبد المجيد الشرفي ص ٢٥ .

(٢) القراءة الحداثية للسنة النبوية عرض ونقد ، د محمد عبد الفتاح الخطيب ، موقع الدرر السنية https:// dorar.net/article/713

أن العقل مقاد لنتاجه ، والنتاج هو السيد ، فتصير حركة الانسان في هذا الواقع حركة لا واعية ، حركة الانسان الذي يمشي في منامه بتوجيه لا شعوري .»[1]"

٢ ـ أرخنة النص :

نعني بأرخنة النص تلك القراءة الحداثية التاريخية للنص ، والتاريخية كما يعرفها آلان تورين» هي المقدرة التي يتمتع بها كل مجتمع في انتاج حقله الاجتماعي والثقافي الخاص به ، ووسطه التاريخي الخاص به ايضاً « [2]"

فالتاريخية علي هذا الاساس تعني ربط فهم النص بزمن تاريخه ، فتاريخية السنة في نظر الحداثيين مجرد حركة تاريخية انتجت فضاءاً ثقافياً اجتماعياً سياسياً ثم انقضي ، فهم يرون في الاحكام الشرعية ، وكل ما جاءت به السنة النبوية المطهرة ، احكام مؤقتة ومحلية ، جاءت لتلبي احتياجات المسلمين في زمن معين ، ومكان معين ، ووعي معين وبالتالي فلا اطلاقية لها فقد انتهت احكامها بتغير الزمان والمكان .»[3]" وقد اسس هشام جعيط كتابه» تاريخية الدعوة المحمدية « علي هذا الفكر الحداثي ، وذكر في مقدمة كتابه عنواناً يشير الي وضع الدعوة في تاريخيتها الخاصة ، وفي وسطها الداخلي والخارجي بيد البشر ، ثم أضاف قائلاً « والتاريخ إنما هو علم وضعي وأرضي يتناول فاعليات الأفراد والمجتمعات البشرية في الماضي ، ويخرج عن دائرة الإيمان والمعتقد.»[4]"

ويرمي الحداثيون من وراء القول بتاريخية السنة الي الغاء الشريعة ، بل والغاء الدين بكامله علي اعتبار انه تاريخياً لم يعد مناسباً ولا ملائماً لاستمداد التشريعات منه ، لأن وجود هذه الاحكام مرهوناً بتاريخ وزمن معين ، فلا يصلح ان يطبق في كل زمان ومكان.

٣ ـ اخضاع النص النبوي لمناهج غربية مستحدثة:

يؤكد الحداثيون علي ضرورة اخضاع النصوص النبوية لآليات التفكيك والمناهج الغربية المستحدثة ، وهذا ما أكد عليه محمد أركون بقولة :» إنه من الملّح والعاجل من وجهة نظر التأريخ العام للفكر أن يطبق علي دراسة الإسلام المنهجيات والإشكاليات الجديدة ، نقصد

(١) تحرير العقل من النقل وقراءة نقدية لمجموعة من احاديث البخاري ومسلم ، سامر الاسلامبولي ص١٥

(٢) اشكالية القراءة الحداثية للنص الديني دراسة نقدية ،د ابراهيم طلبه حسين ص ٤٤٩ .

(٣) التأويل بين ضوابط الأصوليين وقراءات المعاصرين ، محمد طه بومدين ص ٦٧ .

(٤) تاريخية الدعوة المحمدية ، هشام جعيط ص٥

بذلك تطبيق المنهجيات والآفاق الواسعة للبحث من تاريخية وألسنية وسيمائية[1] وأنثروبولوجيا[2] وفلسفية « [3]"

والي اخضاع النصوص النبوية لكل وسائل البحث التي توفرها النظريات والمنهجيات الحديثة يشير محمد شحرور الي ذلك بقوله :» والقياس يجب أن يقوم علي البراهين المادية التي يقدمها علم الاجتماع والطبيعيات والإحصاء والاقتصاد ، فهؤلاء هم المستشارون الحقيقيون للسلطة التشريعية وليس علماء الدين ومؤسسات الافتاء» .»[4]

تلك هي أهم المحاور التي يرتكز عليها المنطلق الأول من منطلقات الفكر الحداثي .

المنطلق الثاني : اقصاء السنة عن دائرة العمل والتأثير :

عمد الحداثيون الي اقصاء السنة النبوية المطهرة عن دائرة العمل والتأثير في الأوساط الإسلامية معتمدين في ذلك علي اتباع استراتيجية الإزاحة والإحلال، بمعني إخلاء الوجدان الإسلامي من السنة النبوية المطهرة ، ثم إحلال الفكر الحداثي في الوجدان الذي أصبح خالياً.

ولتطبيق هذه الاستراتيجية اعتمد الحداثيون علي عدة محاور منها:

١ ـ إنكار الثبوت التاريخي للسنة النبوية المطهرة:

ذهب العديد من الحداثيين الي إنكار السنة عموماً ، معللين ذلك بأن السنة إدعاءات نسبت الي النبي صلي الله عليه وسلم ، وأن النبي عليه السلام لم يقلها ابتداءاً ، وإنما نسبها اليه من جاء بعده من الصحابة والتابعين ، ثم اكتسبت القداسة بتأصيل الشافعي لها لتصبح فيما بعد هي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله عز وجل.»[5]"

ولتأكيد فكرة عدم ثبوت السنة تاريخياً اعتمد الحداثيون علي شبهتين :

---

(١) السيمائية علم يدرس أنساق العلامات والأدلة والرموز، سواء أكانت طبيعية أم صناعية ،وتُعدّ اللسانيات جزءا من السيميائيات التي تدرس العلامات أو الأدلة اللغوية وغير اللغوية ، ويكيبديا الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org/wiki

(٢) أنثروبولوجيا هو العلم المختص بدراسة الإنسان ،المرجع السابق

(٣) تاريخية الفكر العربي الإسلامي ، محمد اركون ، ترجمة هشام صالح ص ٦١ .

(٤) نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي ، د محمد شحرور ص١٩٣ .

(٥) السنة النبوية بين الفكر الحداثي والتأويل المعاصر ، نبيل ربيع ص ١٢ .

الأولي : تضخيم حركة الوضع في الحديث ، والتي يدعي الحداثيون أنها ظهرت مبكراً ، بل إن البعض يذهب الي أنها ظهرت في عهد النبي صلي الله عليه وسلم ، وأن المسلمين رغم البداية المبكرة للوضع إلا أنهم لم ينتبهوا لذلك إلا بعد الخلاف السياسي إثر مقتل عثمان بن عفان واستيلاء الأمويين علي السلطة .[1]

ومما لا يشك فيه أن من تبني هذه الفكرة من الحداثيين قد جهل أن جميع من روي من الصحابة عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قد سُبرت أحوالهم ، ولم يُشهد علي أحدٍ منهم بالكذب ، مما يبطل هذه الشبهة ، وأما ما يتعلق بالوضع فإن ذلك قد وقع في وقت متأخر وعالجه علماء الجرح والتعديل ، وميزوا الوضاعين ، ورفضوا كل الأحاديث الموضوعة ، وصنفوا في ذلك العديد من المصنفات التي تحذر منه ومن رواته.

الثانية : وأما الشبهة الثانية التي اعتمد عليها الحداثيون في انكار ثبوت تاريخية السنة النبوية فهي تأخير تدوين السنة ألي ما بعد المائة الأولي من وفاة النبي صلي الله عليه وسلم ، مما يجعل السنة من وجهة نظرهم فاقدة لقيمتها الثابتة.

يقول هشام جعيط: « لا يمكن الاعتماد علي ما استكمل به الإسلام فيما بعد من سيرة وتاريخ وأحاديث وطبقات ، لأن القاعدة أن كل ما دون بعد مائة سنة من الحدث فاقد لثقة المؤرخ.»[2]"

ومما لا يشك فيه أن ما يدعيه الحداثيون من تأخير تدوين السنة واعتماد الصحابة والتابعين طوال مائة سنة علي النقل الشفاهي يطعن في ثبوت السنة ، لا شك أن هذا كلام عارٍ تماماً من الصحة ، لأن النقل الشفاهي أحد وسائل تناقل العلم ، كما أن هذا النوع من النقل يوفر جواً من الحوار بين العالم والمتلقي ، كما انه يمنع الوقوع في خطأ التصحيف واخطاء النساخ.

٢ ـ نزع القداسة عن السنة النبوية المطهرة:

من الأمور التي اعتمد عليها الحداثيون لإقصاء السنة عن دائرة العمل والتأثير ، نزع القداسة عن السنة النبوية المطهرة ، وإن شئت فقل نزع القداسة عن كل موروث استقر في وجدان الأمة.

---

(١) ينظر في ذلك ما كتبه محمد حمزه في كتابه الحديث النبوي ومكانته في الفكر الإسلامي المعاصر ص١٣٨

(٢) السيرة النبوية ـ الوحي والقرآن والنبوة ، هشام جعيط ص٩٤ .

يقول حسن حنفي:» نشأ التراث من مركز واحد وهو القرآن والسنة ، ولا يعني هذان المصدران أي تقديس لهما ، بل هما مجرد وصف لواقع .»[1]"

فحنفي هنا يري أن السنة مجرد تراث ، ولا تكتسب صفة القداسة لأنها مجرد وصف لواقع.

ولنزع القداسة عن السنة النبوية اعتمد الحداثيون استراتيجية تقوم علي عدة خطوات منها:

أ ـ الانتقاص من مكانة النبي صلي الله عليه وسلم :

من المحاولات الرامية الي نزع القداسة عن السنة النبوية المطهرة ، نزع القداسة عن صاحب هذه السنة وهو النبي صلي الله عليه وسلم ، وكل ما يحيط بشخصه ، ونسبه الي بني هاشم الذين يزعمون أنهم كانوا خاملي الذكر ليس مادياً أو اجتماعياً فقط بل وفكرياً أيضاً.

يقول جعيط :» إن هذا الوسط الخامل ـ يعني بني هاشم ـ لم يكن خمولهم مادياً أو اجتماعياً فقط وإنما كان فكرياً أيضاً ، والوحيد الذي كان له طموح بين أعمامه هو أبو لهب ، كما وجد ابن عم له وهو ابو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب كان يقول الشعر وقد هجا به محمداً ، وأما الآخرون فمغيبون في السِيَر» .»[2]"

ويعود جعيط ويشير من طرفٍ خفي الي وصف النبي عليه السلام بدنو المنزلة ، والهامشية في الحياة ، والمعاناة والفقر ، فيذكر انه صلي الله عليه وسلم كان مرفوضاً من مجتمعة.[3]

ومما لا شك فيه أن ما يدعيه الحداثيون حول نسب النبي الي بني هاشم ومحاولة التقليل من شأنهم محض كذب وافتراء ، لان العرب جميعاً كانت تعرف قيمة بني هاشم ومكانتهم العظيمة ليس في قريش وحدها بل في جزيرة العرب كلها ، وأما ما يدعيه جعيط من ان النبي عليه السلام

كان مرفوضاً من مجتمعه ، فهذا أيضاً محض كذب وافتراء فمن الثابت أن النبي عليه السلام كان يلقب عند قومه بالصادق الأمين ، ومن الثابت أيضاً أن قريشاً كانت لا تأتمن احداً علي ودائعها الا النبي عليه السلام ، فكيف يزعم جعيط أنه كان مرفوضاً من مجتمعه؟

---

(١) التراث والتجديد ـ موقفنا من التراث القديم ، حسن حنفي ص ٥٠ .

(٢) السيرة النبوية ـ الوحي والقرآن والنبوة ، هشام جعيط ص٢٥٣ .

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٠ .

ب ـ الطعن في عدالة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين:

تعتبر مسألة الطعن في عدالة الصحابة رضوان الله عليهم من أهم الأسس التي اعتمد عليها الحداثيون لنزع القداسة عن السنة النبوية المطهرة ، وذلك لأن إسقاط العدالة عن الصحابة هو إسقاط للسنة بجملتها ، لأن الصحابة هم الأساس الذي يقوم عليه علم الرواية ، فهم من نقلوا السنة النبوية عن النبي صلي الله عليه وسلم.

وقد أثار الحداثيون العديد من الشبه حول عدالة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، منها أن الآيات والأحاديث التي جاءت لتقرر عدالة الصحابة ، إنما جاءت علي العموم ، ولم تقصد الصحابة بأعيانهم ، فهي جاءت حكماً عاماً لا يلغي وجوب البحث في حال كل صحابي .

يقول محمود أبو رية :» إن القول بعدالة جميع الصحابة ، وتقديس كتب الحديث ، يرجع اليهما كل ما أصاب الإسلام من طعنات اعدائه ، وضيق صدور ذوي الفكر من أوليائه ، ذلك أن عدالة جميع الصحابة تستلزم ولا ريب الثقة بما يروون ، وما رووه قد حملته كتب الحديث بما فيه من غثاء.....، ولو نحن ذهبنا لنحصي الأضرار التي أصابت المسلمين من وراء ذلك لطال بنا المقام.»[1] " ويقول في موضع آخر : « وعلي الجملة فمن تتبع تلك الموارد وسوّي بين الصحابة ، فهو أعمي أو متعامٍ ، فمنهم من علمنا عدالته ، ومن الصحابة نوادر ظهر منهم ما يخرج عن العدالة ، فإن منهم من أسلم خوف السيف كالطلقاء[2] وغيرهم ".[3]"

وقد ذكر ابورية في كتابه مجموعة من الشبه التي تقدح في عدالة الصحابة لا يتسع المقام لذكرها جميعاً ، ولكن اذكر منها علي وجه العموم ما قاله ابو ريه من أن بعض الصحابة كان يفضلون اللهو والتجارة عن الصلاة , وأن بعض الصحابة قد نافق في عهد النبي عليه السلام وبعده ، وان بعض الصحابة قد وقع في الكبائر.»[4]"

---

(١) أضواء علي السنة المحمدية ، محمود أبو رية ص ٣١٢ .

(٢) يقصد أبو رية هنا بالطلقاء من أسلم لحظة دخول النبي عليه السلام مكة المكرمة كأبي سفيان وغيره واني لأعجب من قول ابو رية أن الطلقاء قد اسلموا خوفاً من السيف ، فمن الثابت والمعروف في جميع كتب السِيَر أن النبي عليه السلام لما دخل مكة لم يرغم أحداً علي اعتناق الإسلام ، كما ان قول ابو رية انهم من الطلقاء ينفي كونهم اسلموا خوفاً من السيف ، فالطليق هو من لا يقع تحت طائلة الإكراه فهو حر في اختياره ، وعليه فإسلام من أسلم من أهل مكة بعد الفتح لم يكن خوفاً من السيف كما يزعم ابورية .

(٣) أضواء علي السنة المحمدية ، محمود أبو رية ص٣٢٢.

(٤) يراجع في ذلك اضواء علي السنة المحمدية ، محمود ابو ريه ص٣٣٢ وما بعدها.

ج ـ التشكيك بعلوم الجرح والتعديل وتحريف شروط اصحاب الصحيح :

من أجل نزع القداسة عن السنة النبوية المطهرة عمل الحداثيون علي التشكيك في كل ما يجعل نفس المؤمن مطمئنة الي أن جميع ما ورد في كتب الصحاح من أحاديث هو بعينه ما نطقت به شفتا رسول الله صلي الله علي وسلم ، لذا نادي الحداثيون بإعادة النظر في كل العلوم التي تثبت صحة هذه الأحاديث ، وأقصد بذلك علوم الإسناد وعلوم الجرح والتعديل ، والغرض من ذلك أن يسلبوا عن السنة صفتي الصحة والثبوت ليتحرروا من تبعات ذلك ، تمهيداً للخروج عن المرجعية الإسلامية ، ليجعلوا لأنفسهم مطلق الحرية في النقد علي حسب اهوائهم دون وجود مرجعية علمية أو دليل يُستند اليه.

يقول محمد أركون :» إن الوعي الإسلامي يعتقد أن النقد الذي حصل من قِبَل البخاري ومسلم كافٍ ونهائي ، ومجموعات الحديث التي شُكّلت علي هذا الأساس هي رسمية ومغلقة أي نهائية كالقرآن ، ولم ينتبه أحد الي العقبة اللاهوتية التي تدحض هذا الزعم ،ولابد من دراسة نقدية صارمة لكل الوثائق والمواد الموروثة «[1] “

وقد عمل بعض الحداثيين علي تحريف شروط اصحاب الصحيح كالبخاري ومسلم من أجل عمل موائمة بين التراث والحداثة ، كما فعل الجابري في معرض حديثه عن الحديث الصحيح ، حيث ذكر أن كتب الحديث الصحيحة كصحيحي البخاري ومسلم إنما هي صحيحة بالنسبة للشروط التي وضعها أصحابها لقبول الحديث ، فالحديث الصحيح ليس صحيحاً في نفسه بالضرورة ، وانما هو صحيح بمعني أنه جامع للشروط التي اشترطها جامع الحديث كالبخاري ومسلم .[2]

المطلب الثاني : الآثـار العقدية المترتبة علي التوظيف الحداثي للسنة النبوية المطهرة :

من الثابت يقيناً أن التوظيف الحداثي والقراءة الحداثية للسنة النبوية المطهرة قد نتج عنها آثار خطيرة انعكست بدورها علي العقيدة الإسلامية ، فهذه القراءات الحداثية تعمل علي زعزعة اعتقاد المسلم ، ونسف ايمانه بها ، كما تجعل الانسان لا يري فرقاً بين الإيمان

(١) الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، محمد أركون ص١٠٤ .

(٢) قضايا في الدين والفكر ، محمد عابد الجابري ، حوار في مجلة مقدمات المغربية https://hekmah.org

والكفر ، ومن هنا يبدو الخطر الحداثي علي قضايا العقيدة ، من خلال إقصاء كل مقدس ، والتشكيك والقدح فيه ، وانكار الأصول والثوابت العقدية المؤسِسَة للدين ، ويمكن تصور الخطر الحداثي علي العقيدة من خلال النقاط الآتية :

١ ـ التجاوز في حق الذات الإلهية:

زعم الحداثيون أن الله مجرد فكرة في العقل البشري ، ومن خلال هذا التأويل أصبح الله عند الجائع رغيف خبز ، وعند المظلوم هو العدل ، وعند المستعبد هو الحرية ، وهذا القول عند الحداثيين هو امتداد لقول « نتشه» بموت الإله.

يقول حسن حنفي :» فالله من أسمائه هو الحرية، تعبيراً عن حاجتنا الي التحرر، وهو التقدم والعقل والطبيعة والتاريخ والمساواة والعدالة ، ما دام كل لفظ يعبر عن حاجة دفينة لجيلنا، فالأسماء القديمة أنما تكشف عن الموقف الديني للعالم ، أي اغتراب الإنسان.»[١]"

ولم يكتفي الحداثيون بالإطلاقات المادية علي الذات الإلهية ، بل تعدوا ذلك الي مساواة الذات الإلهية بذات الإنسان ، ولكن في صورة كاملة ، فالله من وجهة نظر الحداثيون هو الانسان الكامل ، تعالي الله عما يقولون علواً كبيرا.

يقول حنفي : «إن علماء الأصول يتحدثون عن الله ، ذاته ، وصفاته ، وأفعاله ، فإنهم في الحقيقة يتحدثون عن الأنسان الكامل، فكل ما وصفوا به الله ، إن هو إلا الإنسان مكبر في أقصي حدوده.» [٢]

وهكذا ومن خلال ما سبق يتضح لنا مدي التجاوز العقدي للحداثيين في تصورهم لله عز وجل .

٢ ـ إنكار الوحي :

إن القول بأن مصدر السنة النبوية المطهرة وحي من عند الله سبحانه وتعالي يجعل السنة في مرتبة عالية ولها منزلة التقديس في نفوس المسلمين ، ولذا فإن الأمة مجمعة سلفاً وخلفاً علي أن السنة المطهرة وحي من عند الله عز وجل ، وأن النبي عليه السلام لا ينطق عن الهوي ، وإجماع الأمة هنا ليس صادراً عن فراغ ، أو عن هوي نفس ، ولكنه الحق الذي لا يعارضه إلا غوي مبين وقد استنبط العلماء من قوله تعالي « إن هو إلا وحي يوحي» [٣]. أن السنة وحي

(١) من العقيدة الي الثورة ، حسن حنفي ج٢ ص٥١٢ .

(٢) التراث والتجديد ، حسن حنفي ص١٢٢ .

(٣) سورة النجم ٤

من الله لرسوله وبها استدل أكثر العلماء. «[1]"

إذاً فالسنة عند جميع المسلمين هي وحي من الله تعالي لنبيه عليه السلام ، ولما كان الفكر الحداثي يري أن العائق الأعظم الذي يقف حجر عثرة أمام تمرير مشروعهم الحداثي يكمن في الأصول التي تعتمدها المجتمعات الإسلامية ، وهي كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام، اتجه الحداثيون مباشرة الي التشكيك والهدم فيهما ، سعياً منهم الي تفكيك المرجعية المعرفية الإسلامية.

ولما كانت السنة احد مصدري التشريع في الدين الإسلامي ، فإن الفكر الحداثي عمل علي هدمها وردها بحجة معارضتها للعقل ، والعمل علي نفي صفة الوحي عنها ، ولكي ينفي الحداثيون ربانية مصدر الوحي اعتبروه حاله يعيشها النبي ، وتفيض عليه من خلالها المعاني الدفينة التي كان النبي عليه السلام يعيشها في حياته .

" فالوحي حالة استثنائية يغيب فيها الوعي ، وتتعطل الملكات ليبرز المخزون المدفون في أعماق اللاوعي بقوة خارقة ، لا يقدر النبي علي دفعها ، ولا تتحكم فيها ارادته." [2]

ويقول نجيب زكي محفوظ:» هذا التراث كله بالنسبة لعصرنا فقد مكانته ، فالوصول الي ثقافة علمية وتقنية وصناعية لن يكون بالرجوع الي تراث قديم مصدره الوحي»[3]

ويهدف المشروع الحداثي من خلال تركيزه علي نفي الوحي الي طرح نظريته القائمة علي أنسنة الوحي ، بمعني أن يكون الإنسان وحده هو مصدر التشريع ، فالفكر الحداثي يسعي الي إحلال منظومة جديدة من القيم الإنسانية ، وإضفاء هالة من التقديس عليها بدلاً من الدستور الإلهي القائم علي الوحي .

٣ ـ إنكار الغيبيات :

من الأمور المترتبة علي إنكار الوحي عند الحداثيين ضرورة إنكار الإيمان بكل الغيبيات ، لأن الغيبيات أو السمعيات كما يطلق عليها علماء الكلام ، هي الأمور التي تؤخذ عن طريق السماع من النبي عليه السلام ، ويكون مصدرها الوحيد هو الوحي الإلهي ، لأنها أمور غير قابلة للتفسير عن طريق المنهج العقلي ، أو الحسي المادي ، وبالتالي فان الحداثيين ينكرون عالم الغيب ، كاليوم الآخر بكل ما فيه من مشاهد واحداث ، فأمور المعاد عند الحداثيين في

(١) السنة وحجيتها ومكانتها في الإسلام ، د محمد نعمان ص٨٠ .

(٢) الإسلام بين الرسالة والتاريخ ، عبد المجيد الشرفي ص

(٣) تجديد الفكر العربي ، نجيب زكي محمود ص٨٢ .

نهاية الأمر « ما هي إلا تعبير عن العالم بالتمني ، عندما يعجز الإنسان عن عيشه بالفعل في عالم لا يحكمه القانون ويسوده العدل ..... فأمور المعاد في أحسن الأحوال تصوير غني يقوم به الخيال تعويضاً عن حرمان من الخبز والحرية» [١]"

ومما يدل علي نظرة الحداثيين للأمور الغيبية أن إحدى منظمات الحداثة قد وضعت خطة تسير عليها في نشر افكارها ، كان من أهم اركانها الدعوة الي انكار الإيمان بالغيب ، لأن الفكر الغيبي من وجهة نظر الحداثيين أهم اسباب انتكاسة الحضارة العربية."[٢]"

وحتي يؤكد الحداثيون علي عدم أهمية الإيمان بالغيب ، عمل بعضهم علي تبديل لفظة « الغيب»بلفظة « المستقبل» ، وهذا المستقبل يمكن أن يتعرف عليه الإنسان بقليل من المنطق وعلم الحساب ، فلا حاجة عنه للحديث من خلال القرآن أو السنة.

يقول صادق النيهوم :» كلمة عالم الغيب في لغة الإنسان الحي تعبر حرفياً عن عالم المستقبل وعالم الغيب لم يعد غائباً عن عيون الناس ، بل صار اسمه عالم المستقبل ، وصار بوسع الناس أن يعرفوا مستقبلهم سلفاً بقليل من المنطق وعلم الحساب ..... ولم يعد عالم الغيب خارجاً عن سنن الطبيعة ، بل صار قابلاً للتفسير العلمي .»[٣]"

ويشير حسن حنفي الي أن الغيبيات التي ذكره القرآن ووضحتها السنة لا يمكن التحقق منه فيقول « وكل ما اطلق عليه العلماء القدامى اسم السمعيات لا يشير الي حس أو مشاهدة ، إلا عن طريق تأويل معاني الألفاظ ، واستعارة الألفاظ الحسية للدلالة علي معاني انسانية.»[٤]

وهكذا ومن خلال ما سبق يتضح أن الفكر الحداثي لا يحارب العقيدة فقط ، بل يحاول هدمها من الأساس ، عن طريق التجاوز في حق الذات العلية ، وانكار الوحي ، وانكار الغيبيات التي لا يكتمل ايمان المرء إلا إذا آمن واقر بها ، هذا علاوة علي ان الايمان بالغيب يعتبر جزءاً أساسياً في جميع الديانات الصحيحة الموحى بها من عند الله عز وجل ، وبهذا تكون الحداثة لا تحارب الدين الإسلامي فقط بل تحار جميع الديانات الصحيحة.

---

(١) من العقيدة الي الثورة ، حسن حنفي ج٤ ص٣٨ .

(٢) دفاعاً عن ثقافتنا ، جمال سلطان ص ١٦ .

(٣) الإسلام في الأسر ، الصادق النيهوم ص ٨١ ،٨٢ .

(٤) التراث والتجديد ، حسن حنفي ص ١٢١ .

الخاتمة

بعد دراسة موضوع البحث دراسة وافية أمكن التوصل الى عدة نتائج وهي كالتالي :

١ ـ كلمة حداثة في اللغة العربية مشتقة من الجذر اللغوي (ح ، د، ث) وهي في مدلولها تنطوي علي معني الجِدة والتحديث الذي هو في مقابل القديم والعتيق .

٢ ـ من الصعب أن نجد مفهوماً دقيقاً يحدد معني الحداثة في الاصطلاح ، ولكن رغم هذا إلا أن هناك تعريفات متعددة تحاول إعطاء مقاربات لمفهوم الحداثة.

٣ ـ يكاد يكون هناك اجماع من الباحثين علي أن مصطلح الحداثة هو مصطلح غربي خالص فقد حبلت به الثقافة الغربية ووضعته ونمته ليكتسب فيها دلالته لمدة تزيد علي ثلاثة قرون.

٤ ـ دخل مصطلح الحداثة الي مجال التداول في الفكر العربي منذ النصف الثاني من القرن العشرين ، ودخل بتأثير من الحداثة الغربية.

٥ ـ هناك عدة اسس ومرتكزات تقوم عليها الحداثة ومنها الذاتية ، العقلانية ، الحرية.

٦ ـ من المنطلقات الفكرية لدي الحداثيين للتعامل مع السنة تطبيق القراءات الحداثية علي السنة المطهرة ، و اقصاء السنة عن دائرة العمل والتأثير.

٧ ـ هناك عدة محاور اعتمد عليها الحداثيون من أجل تطبيق القراءات الحداثية علي السنة النبوية منها عقلنة النص ، ارخنة النص ، اخضاع النص النبوي لمناهج غربية مستحدثة.

٨ ـ اعتمد الحداثيون علي عدة محاور من اجل اقصاء السنة عن دائرة العمل والتأثير ومن هذه المحاور : إنكار الثبوت التاريخي للسنة النبوية المطهرة ،نزع القداسة عن السنة النبوية المطهرة.

٩ ـ من الآثار العقدية المترتبة علي التوظيف الحداثي للسنة النبوية المطهرة: التجاوز في حق الذات الإلهية ، إنكار الوحي ، إنكار الغيبيات.

قائمة المصادر والمراجع

١ ـ السنة النبوية بين الفكر الحداثي والتأويل المعاصر، نبيل ربيع ، الملتقي الوطني الأول ، الاطروحات المعاصرة في التعامل مع السنة ، جامعة باتنة ، الجزائر ، ٢٠١٧ م.

٢ ـ السنة وحجيتها ومكانتها في الإسلام ، د محمد نعمان ، ط دار البشائر الإسلامية بيروت ، ط١ ،١٤٠٩ هـ

٣ـ سنن النسائي الصغرى ط مكتب المطبوعات الإسلامية / حلب / ط الثانية ١٤٠٦هـ

٤ـ السيرة النبوية ـ الوحي والقرآن والنبوة ،، هشام جعيط ، ط دار الطليعة بيروت،ط ١

٥ ـ صحيح مسلم ط دار الفجر للتراث / ط الأولي ١٤٢٠هـ / ١٩٨٦م

٦ ـ العرب والحداثة دراسة في مقالات الحداثيين ، د عبدالإله بلقزيز ، ط مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ط١ ، ٢٠٠٧م

٧ ـ الفكر الإسلامي نقد واجتهاد ، محمد أركون ، ترجمة هاشم صالح ، ط دار الساقي ، بيروت ، ط السادسة ٢٠١٢ م.

٨ ـ القاموس المحيط ، محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، تحقيق الشيخ ابو الوفا نصر الهوريني المصري الشافعي ، ط دار الحديث القاهرة ٢٠٠٨م.

٩ـ القراءة الحداثية للسنة النبوية عرض ونقد ، د محمد عبد الفتاح الخطيب ، موقع الدرر السنية https://dorar.net/article/713

١٠ـ قضايا في الدين والفكر ، محمد عابد الجابري ، حوار في مجلة مقدمات المغربية https://hekmah.org

١١ ـ كتاب العين مرتبا علي حروف المعجم ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق د عبد الحميد هنداوي ط دار الكتب العلمية بيروت ط١ / ٢٠٠٢م

١٢ ـ لسان العرب لابن منظو ، تحقيق عبد الله الكبير واخرون ط دار المعارف ، مصر ،بدون

١٣ـ المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين ، د شكري محمد عياد ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٩٩٣م

١٤ـ مفهوم الحرية ، عبد الله العروي ، ط المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب

، ط٥ ، ٢٠١٢ م.

١٥ـ من العقيدة الي الثورة ، حسن حنفي ، الجزء الثاني التوحيد ، ط مؤسسة هنداوي ، المملكة المتحدة ٢٠٢٠م.

١٦ـ المنطلقات الفكرية والعقدية لدي الحداثيين للطعن في مصادر الدين ،أنس سليمان المصري ، مجلة كلية الشريعة ، الجامعة الأردنية ، مجلد ٤٢ ، عدد١ ، ٢٠١٥ م.

١٧ـ موت الانسان في الخطاب الفلسفي المعاصر ، د عبد الرازق الدواي ، ط دار الطليعة للنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٢ م

١٨ـ الموسوعة الميسرة في الاديان والمذاهب والاحزاب المعاصرة ، د مانع بن حماد الجهني ط دار الندوة العالمية للطباعة والنشر ، الرياض ، ط٤ ، ١٤٢٠هـ

١٩ـ موسوعة لا لاند الفلسفية ، أندرية لا لاند، ترجمة د خليل احمد خليل ، ط مكتبة عويدات ، بيروت ،ط٢ ، ٢٠٠٧ م

٢٠ـ نحو أصول جديدة للفقه الإسلامي ، د محمد شحرور ، ط مطبعة الأهالي للطبع والنشر ، دمشق ،سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٨ م.

٢١ ـ هوامش علي دفتر التنوير ، جابر عصفور ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ط١ ،١٩٩٤.

List of sources and references:

1 - The Prophetic Sunnah between Modernist Thought and Contemporary Interpretation, Nabil Rabie, First National Conference, Contemporary Theses in Dealing with the Sunnah, University of Batna, Algeria, 2017 AD.

1 - The Prophetic Sunnah between Modernist Thought and Contemporary Interpretation, Nabil Rabie, First National Conference, Contemporary Theses in Dealing with the Sunnah, University of Batna, Algeria, 2017 AD.

2 - Sunnah, its authority and its position in Islam, Dr. Muhammad Numan, published by Dar Al-Bisharat Al-Islamiyyah, Beirut, 1st edition, 1409 AH

3 - Sunan Al-Nasa'i Al-Sughra, published by the Office of Islamic Publications / Aleppo / 2nd edition, 1406 AH

4 - Biography of the Prophet - Revelation, the Qur'an and Prophethood, Hisham Ja'it, published by Dar Al-Tali'ah, Beirut, 1st edition

5 - Sahih Muslim, published by Dar Al-Fajr for Heritage / 1st edition, 1420 AH / 1986 AD

6 - Arabs and Modernity: A Study of the Articles of Modernists, Dr. Abdul-Ilah Belqaziz, published by the Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1st edition, 2007 AD

7 - Islamic Thought: Criticism and Ijtihad, Muhammad Arkoun, translated by Hashem Saleh, published by Dar Al-Saqi, Beirut, 6th edition, 2012 AD

8 - Al-Qamoos Al-Muhit, Muhyiddin Muhammad bin Yaqub Al-Fayruzabadi, edited by Sheikh Abu Al-Wafa Nasr Al-Hawreini Al-Masry Al-Shafi'i, published by Dar Al-Hadith, Cairo, 2008 AD. 9 - Modernist Reading of the Prophetic Sunnah, Presentation and Criticism, Dr. Muhammad Abd al-Fattah al-Khatib, Al-Durar al-Sunniyah website https://dorar.net/article/713

10 - Issues in Religion and Thought, Muhammad Abed al-Jabri, Dialogue in the Moroccan Magazine Muqaddimat https://hekmah.org

11 - The Book of the Eye Arranged According to the Letters of the Dictionary, Al-

Khalil bin Ahmad al-Farahidi, Edited by Dr. Abdul Hamid Handawi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 1st ed. / 2002

12 - Lisan al-Arab by Ibn Manzou, Edited by Abdullah al-Kabir and others, Dar al-Maaref, Egypt, without

13 - Literary and Critical Schools among Arabs and Westerners, Dr. Shukri Muhammad Ayyad, World of Knowledge Series, National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait, 1993

14 - The Concept of Freedom, Abdullah al-Aroui, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 5th ed., 2012

15- From Doctrine to Revolution, Hassan Hanafi, Part Two, Monotheism, Hindawi Foundation, United Kingdom, 2020.

16- Intellectual and Doctrinal Principles of Modernists to Challenge the Sources of Religion, Anas Suleiman Al-Masry, Journal of the Faculty of Sharia, University of Jordan, Volume 42, Issue 1, 2015.

17- The Death of Man in Contemporary Philosophical Discourse, Dr. Abdul Razzaq Al-Dawai, published by Dar Al-Tali'ah for Publishing, Beirut, 1st edition, 1992 AD

18- The Simplified Encyclopedia of Contemporary Religions, Sects and Parties, Dr. Mani' bin Hammad Al-Juhani, published by Dar Al-Nadwa Al-Alamiyah for Printing and Publishing, Riyadh, 4th edition, 1420 AH

19- The Philosophical Encyclopedia of Lalande, André Lalande, translated by Dr. Khalil Ahmad Khalil, published by Awidat Library, Beirut, 2nd edition, 2007 AD

20- Towards New Principles of Islamic Jurisprudence, Dr. Muhammad Shahrour, published by Al-Ahali Printing and Publishing Press, Damascus, Syria, 1st edition, 2008 AD

21- Footnotes on the Enlightenment Notebook, Jaber Asfour, Arab Cultural Center, Beirut, 1st edition, 1994